أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث

نثار أحمد شاه *

أدب الأطفال في العصر الحديث

بدأت الكتابات الأولى للأطفال في نهاية القرن السابع عشر على لون ومضات أقلام الأدباء المختلفة في أقاليم شتّى، وفي مقدماتها فرنسا التي برزها الكاتب الكبير "تشادلزبيرو" فكتب الكتاب باسم "الأم الأوزه" في ١٦٩٧ عام،[١] ويرى كثير من الباحثين بأن كتاب "الأم الأوزه" كان أول مجموعة قصصية خصيصا للأطفال. وهذه بداية مرحلة في تاريخ تطور الكتابة الطفولية.[٢]

وبعد أن نالت هذه المجموعة شهرة واسعة وإقبالا كبيرا، أخرج المؤلف مجموعة أخرى أسماها "أقاصيص وحكايات الزمان الماضي" وكانت هذه المجوعة أول مراحل التكوين الحديث لأدب الأطفال، وكان لها تأثير كبير في حكايات الأطفال والقصص الشعبي في كثير من البلدان الأوروبية الاخرى بعد ما ترجمت لهذه اللغات.[٣] وفي بداية القرن التاسع عشر جاء الكاتب البارز تشارلزلامب ١٧٢١م، الّذي قد سلك على الطريقة التعليمية في تقديم القصص، والحكايات الخاصة للاطفال، فنشر أوّل مجموعة قصصه للأطفال لعنوان "أليس في بلاد العجائب" في عام ١٨٠٦م،

* باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية، بجامعة كشمير.

وبعده ظهر كثير من الأدباء الذين كتبوا مجموعة من القصص، والحكايات للاطفال فنشرت "الأطفال والبيوت" ليعقوب وليم في عام ١٨١٢م، ثمّ أصدر الجزء الثاني ١٨١٤م. وضمت هاتان المجموعتان أكثر مائتي حكاية مستمدة من الحكايات الألمانية القديمة،[٤] التي كان يحكها الأدباء للأبناء بعد أن هذّبها في أسلوبها ومنها "ليلى والذئب" ١٨١٥م، الساحرة الشريرة" ١٨١٦م، "الأمير النائمة" ١٨١٨م، وبعد ذلك ظهرت مجموعات كثيرة من الأدباء في المانيا مع ذلك جعلت نموذجة كثيرة لأدب الأطفال.[٥]

وربّما كان من أشهر الكتّاب الذين أسسوا الأدب الأطفال العالم الدنماركي "هانز كريستيان اندرس" ١٧٦١م، الّذي يعدّ رائد أدب الأطفال في أوربا، كتب "فرخ البط القبيح" في عام ١٨٤٦م، وكتب عشرات من القصص والحكايات التي ادخلت أدب الأطفال، ولا تزال قصصة تتداول بين الأطفال في اليوم بعد أن ترجمت إلى كثير من لغات العالم منها "الجودية الصغيرة" ١٨٤٤م، "الحزاء الأحمر" في نفس العام، وكثير من القصص التي عدت من أهم أثار أدب الأطفال.[٦]

وقد إنتعش أدب الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية بظهور أحداث وتوفير الوسائل السمعية، والبصرية، وإزدهار علم النفس والفن الصناعي، وأهتماما كبيرا بالصورة على حساب النص، ولسبب قوة روءوس الأموال، وقامت حركة إقتباس واسعة من اللغات الأخرى، وتوظيف الرساميين والفنّانيين والكتّاب.[٧] فظهر عدد كبير من الكتّاب الذين اهتموا بأدب الأطفال وظهرت

مجموعات من كتب الأطفال الشعبية والخيالية، والتاريخية وغيرها. ويكفي للدلالة على هذا الاهتمام والزيادة المطربة في أدب الأطفال بأمريكا، أن عدد الناشرين بلغ ٤١٠ ناشرا عام ١٩٣٠م، ثم وصلوا إلى ٥٨٩٥ عام ١٩٦٥م، وأن بعض الكتب قد بلغ توزيعه أكثر من خمسة ملايين نسخة.[٨] ثمّ تابع الأدب العالمي للأطفال تطورا حتى وصل إلى أوج إزدهاره في القرن العشرين حيث تنوّعت الموضوعات وتقدمت تكنوليجيا الطباعة إلى حد كبير.[٩]

أدب الأطفال في العالم العربي

بدأ ظهور أدب الأطفال حديثا في البلاد العربية تحت نفوذ العالم العربي ثقافيا، وفنّيا، وسياسيا في زمن محمد علي باشا في مصر عن طريق الترجمة. وكان أول من ترجم كتابا للأطفال عن الإنجليزية هو "رفاعة الطهطاوي" الذي أختير ليكون مسؤولا عن التعليم في ذلك الوقت بعد أن عاد من بعثته لباريس وقد افتتن بالحضارة الغربية فجاء ليبشر بالمدنية الأوروبية، ليكون من دعاتها بلباس شيخ أزهري، فترجم قصصا باسم "حكايات الأطفال" وأدخل بعض القصص في المناهج الدراسية.[١٠] ولم تمض سنوات حتى ظهرت كتبا كثيرة من القصص والحكايات للأطفال.[١١] فصار الأدب الأطفال فنا قائما بذاته وراج رواجا عاما على أقدام الأدباء وينمو نموا ملحوظا، وتعدد فنونه، ومدارسه، ويعتبر هذا الفن بقوة جميع وسائله المقروءة، والمرئية، والمسموعة. ثمّ إهتم الأدباء إلى الكتابة الطفولية إهتماما حارا، كان من أبرزهم كامل الكيلاني الّذي توجه إلى أنواع الأدب الأطفال بقصد تنمية خيال الطفل وتفكيره. ولأجل

ذلك يستخدم "كامل كيلاني" لغة سهلة بسيطة للاطفال[١٢] ترغيبا لهم وتقوية لميولهم، وقد كتب كامل كيلاني أكثر من مائتي قصة ومسرحية للأطفال وكانت أول قصة هي "السندباد البحري" التي كتبها عام ١٩٢٧م، وظهرت عدة أعمال أخرى جعلت نموذجة تامة وتمثالا هاما للأدباء الأخرين.[١٣] ولهذه مجهودات الأدباء والكتاب توفرت بها إعدادا كبيرة من كتب الأطفال في مكتبات، ومدارس، وازداد الوعي باهمية كتب الأطفال في جميع الأمم العربية وذلك بنشر أدب، وثقافة وتنمية وسائل الإقتران من بلد إلى بلد، وتدريس أدب الأطفال في الجامعات والكليات التربية المختلفة، وعقد الندوات، والمؤتمرات في أوسع مجال الأدب الأطفال، ثمّ وضع "محمد الهراوى" ١٨٥٢م كتابا من القصص باسم "سمير الأطفال للبنات" ١٩٢٢م. وبعده كتب مجموعة أخرى من قصص الأطفال ما بين عام ١٩٢٤-١٩٢٨م سمّاها "أغاني الأطفال" هي قصائد شعرية سهلة على هدف الامتاع والتسلسة للأطفال[١٤] وفي عام ١٩٣١م كتب "الهراوى" قصص نثرية باسم "بائع الفطير" وغرس الهراوي حبة المواهب والإستعداد على قلوب الأطفال – للبنين واللبنات – ويقوى ميولهم، وطموحاتهم، ويزيد قربهم إلى القراءة، والمثابرة على أدب الأطفال،[١٥] كما يوقظ زعيم ورائد أدب الأطفال "كامل كيلاني" ١٨١٧م، كان حاسا بحاجة طبيعة الأطفال وبذلك يحبب كيلاني إليهم لغتهم، وقراتهم وفقا بسنوات عمرهم ونموهم، فجمع كتاباته للأطفال ببين التراث العربي والثقافة الغربيبة والشرقية، وترجم القصص العالمية كقصص "شكسبير" وكان يهدف

من كتاباته الأمتاع، والترفية للأطفال. وبعد ذلك دعا أحمد شـــوقي الشعراء والأدباء إلى الأطفال ولكن دعوته لم تجد من يستمع إليها، حيث كان يشغل الكتاب، والأدباء إلى الكتابة للكبار، وبعضهم راى أن الكتابة الطفولة لم تاتي إلى الأقبال والشهرة ولكن شـــوقي مـــال إلى هذا الجانب من الفن الأدبي باعماق قلبه وفكره، وعكف نفســـه على حكايات وقصص خصيصا للاطفال.[١٦] ثمّ ظهرت محـــاولات شوقي في أدب الأطفال وجرت المحاولات بعض الادباء منهم "على فكري" ١٨٣٠م قد كتب "مسامرات البنات" ١٩٠٣م، بقصد التعلـــيم والتهذيب، وكان يحتوى هذا الكتاب على مســـامرات، وحكايـــات، وترجمة لبعض القصص الإنجليزية على يد "أمين خيرت الغنـــدور" ١٨٥٥م، وكان اسم الكتاب هو "كنوز سليمان" فـــي عـــام ١٩١٦م، يحتوي هذا الكتاب على بعض الحكم، والمواعظ التي نقلـــت عـــن بعض أدباء الأوربيين.[١٧] ثمّ تقدم وتوفّر أدب الأطفال تقدما واســـعا وازدياد اهتمام بالمدارس، وبتأسيس المكتبات المدرسة، والنـــوادى، والمجلات، ولأجل ذالك يمكن القول بأن أدب الأطفال مر بمراحـــل متعددة كان الأدباء يهتمون بالترجمة للكتب الاطفال من الإنكليزية، والفرنسية دون إضافات، بعد ذلك جاء الأدبـــاء الآخـــرون الـــذين ترجموا مع إضافات جديدة تناسب المجتمع المصري وفـــي عـــام ١٩٣٠م، صدر كثير من القصص والأغاني بالأهتمام الكبير خاصة في السنوات الأخيرية حيث كثرت المسابقات والجـــوائز للكتـــاب، وظهرت مؤسسات خاصة فـــي أدب الأطفـــال وعقـــدت النـــدوات

والمؤتمرات كثرت وينمو هذا الفن بشكل خاص في الأدب العربي الحديث.[١٨]

الحواشي:

١. علي الحديدي: في أدب الأطفال، الدار المصرية لكتاب القاهرة، ٢٠٠١، ص: ٥٠-٥١
٢. محمد محمود رضوان: أدب الأطفال، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٧، ص: ١٠٧-١٠٩
٣. محمد عناني: الأدب وفنونه، دار الينابيع دمش ١٩٩٨، ص: ٥٤
٤. أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م، ص: ١٧٠
٥. محمد بريغش: أدب الأطفال، دار الوفاء القاهرة، ١٩٩٦م، ص: ٨٢-٨٨
٦. أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، ص: ٢٠٣
٧. د. أحمد زلط: أدب الطفولة، أصوله، ومفاهمه، مكتبة القاهرة، ١٩٩٤م، ص: ٧٣-٧٤
٨. محمد حسين بريغش: أدب الأطفال أهدافة وسماته، مكتبة مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٦م، ص: ٦٧
٩. أحمد زلط: أدب الطفولة بين كامل الكيلاني وحمد الهداوي، دار المعارف القاهرة، ١٩٩٤م، ص: ٢٨٠-٢٨٢
١٠. محمد حسين بريغش: أدب الأطفال أهدافة وسماته، مكتبة مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٦م، ص: ٨٠
١١. عبد الثواب يوسف: كتب الأطفال في عالمنا المعاصر، دار الكتب القاهرة، ١٩٨٥م، ص: ١٨٠-١٨٢
١٢. كامل الكيلاني: أدب الأطفال فيضوء الإسلام، مكتبة المعارف القاهرة، ١٩٨٦م، ص: ١٣

١٣.محمد حسين بريغش: أدب الأطفال أهدافة وسماته، مكتبة مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٦م، ص: ٧٠-٧٢
١٤.د. هدى محمد قناوى: الطفل وأدب الأطفال، مكتبة الإنجلو القاهرة، ١٩٩٤م، ص: ٥٠-٥٢
١٥.د. نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة لبنان ١٩٩٨م، ص: ٧٤
١٦. د. عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال دراسة وتطبيق، المركو العربي بيروت، ١٩٨٨، ص: ٤١-٤٤
١٧.عبد الثواب يوسف: حلقة العناية بالثقافة القومية للطّفل، مكتبة للقاهرة ١٩٧٠م، ص: ١٦٩-١٧٠
١٨.البعث الإسلامي: العدد ٢، المجلد ٣٥، شوال، ١٤١٠هـ الموافق أيار مايو، ١٩٩٠م.